الذين اتصلت الينا آراؤهم فلم نجد لاحدهم كتابًا سبق القرن الثاني للهجرة . وفيه كان قد انتشر لفظ الجيم الشجري كما يستدل من القرائن

ولا نخال الهلال ايضًا مصيبًا في استناده على استعمال الجيم في الالفاظ العربية المنقولة الى الفارسية مثل « جهاد وجامع » . لان اللغة الفارسيّة مستحدثة وهذه الكلمات انتقلت الى الفرس في زمن كان قد ساد فيه اللفظ الشجري

فان رغب الينا سائل وطلب ان نبين تعيين الزمن الذي فيه جرى هذا الابدال من الحاق الى الشجري اجبنا بكل صراحة اننا نجهل ذلك . امّا اذا كان لا بدّ من ابداء رأينا في المسألة قلنا ولكن مع التحفظ وليس قولنا الّا من باب الافتراض : ان الجيم الشجرية ظهرت بنفوذ العجم في البلاد المجاورة لهم في ما بين النهرين والعراق . ولا يبعد انها كانت لغة اهل البلاط في الدولة العبّاسية التي قوي فيها النفوذ العجمي منذ القرن الثاني للهجرة . وكأنما الناس حاولوا التشبه باهل البلاط وسكّان العاصمة . كما ان الجميع في فرنسا يتشبهون باريس في لفظها ولو سقيمًا

هذا ونحن نكرّر القول ان ما ابديناه ليس الّا رأيًا تعدل عنهُ متى دلّنا البرهان على مذهب آخر اقرب الى الصواب . انهُ تعالى ضياء المسترشدين

داء السلّ وانتشارهُ في سوريّا

(الدكتور حبيب افندي الدرعوني)

ولا تقل انَّ الصغير عاجزٌ هل يجرح الليث سوى ذُبابهِ

وذُباب السلّ الذي يلجُ جسم الانسان اصغر من أن تدركهُ العين المجرَّدة فطالما اختبأ عن الابصار لا يُدرى الّا بافعالهِ ويبارز الروح فيجذبها بخطاطيف السقم والهزال ويقطف من كل قطرٍ زهرة النساء والرجال

ولمّا نهض وجال العلم للتنقيب عن ماهيّة تلك العلّة انفرد فيهم الفرنساوي ڤيلمين بالقول انَّ داء السل مسبَّبٌ من جرثومة آلية اذا لقحت جسمًا سليمًا صار معتلاً . ثم جاء على إثره الدكتور كوخ فتسنّى لهُ ان أماط الستر عن تلك الجرثومة فأبصرها بعين المجهر فاذا بها خطًّا دقيقًا سمّوهُ باشلس كوخ باسم مكتشفهِ (كما ترى في الصورة بالصفحة ١٢٠) . ينساب في الجسم فيغتذي على نفقة اعضائهِ وغالبًا ما يختار منها ادقّها وألطفها واهمّها لقيام الحياة اعني الرئة فينهشها رويدًا حتى يَحُلّ للجسم ويتضعضع من وراء تلك الطعنات الخفيّة

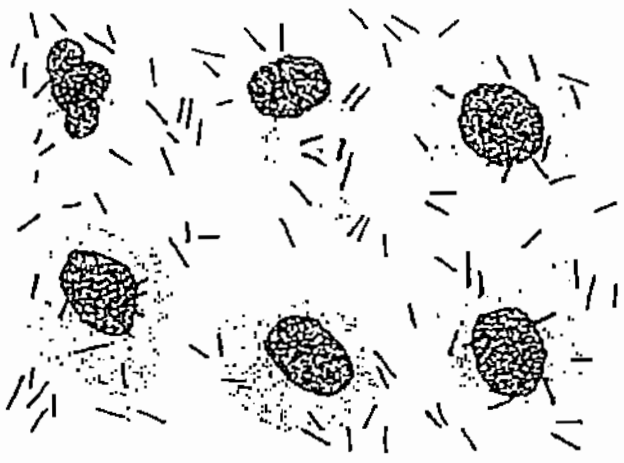

باشلُوس او ميكروب السلّ قد لُوّن هنا بالاحمر وكُبّر عن اصله ١٥٠٠ مرّة — اما انسجة الرئة التي بها يتكوّن الباشلوس فلُوّنت بالازرق

وليس هذا فقط بل انّ ذلك الباشلس ينمو ويكثر وينتشر في الهواء ويسطو باجسام جديدة فيُلحقها بالتي ثوت في القبور . وربّما بقي كمينًا صابرًا على مرور الايام الى ان تهيّئه عوامل الانتشار او تنقله الى غير أقطار فيفتك باهلها متأثرًا فرائس لهُ يختارها من الاجسام النحيلة فيعلق بها ولا يتركها حتى تطير منها الانفاس

وهذه بلادنا السورية لقد نشرت عليها تلك العلّة جناحها وتوطّنت فيها من زمان ليس ببعيد اذ انّهُ لدى الاستطلاع ممّن لهم معرفةٌ في البلاد يظهر انّ داء السلّ كان غير معروف في بلادنا الّا انهُ من عهدٍ قريب أخذ يتفشّى فيها سريعًا ويفتك في اهل البلاد فتكًا ذريعًا

وقصدنا من هذه النبذة ان نستقري الاسباب التي هيّأت تفشّي السلّ في اقطارنا كي يتسنّى للاهلين استدراكهُ والتذرّع بذرائع الوقاية منهُ والّا لأستمرّ يسير في ظهراتينا سيرًا حثيثًا ويقتل من الناس اكثر مما تفعل الاوبئة العظيمة . فان الكولرا مثلًا اذا انتشرت في بلادٍ استفزّت همّة الحكومات والاهلين فيعزّزون اسباب قانون الصحّة والوقاية ويقيمون في وجهِ الوافدة موانع العدوى فيخفقون وطأتها ويُحصرونها في مكان نشأتها . وليس الامر كذلك في السل فكأنّي بهِ يناوش الناس مناوشة فيفتك بهم واحدًا واحدًا فتكون جملة

الخسائر كثيرة بثيرة . وهذه ارقام القوائم تشهد بصحّة ذلك . عُدّلت ضحيّات الحروب من ابتداء هذا العصر الى اليوم فكانت مليونين في فرنسا . وكانت وفيّات الكوليرا اربعمائة الف امّا عدد الذين ماتوا بداء السلّ فيربو على التسعة ملايين . . .

وربما كان تفشّي تلك العلّة ناتجًا من جهل النـاس لعدوى السل وماهية تلك العدوى وناقلها او الاسباب المهيئة لانتقالها سواء كان في البنية او العادات او المعيشة . وتلك امورٌ لا بدَّ ان يعرفها الناس حقّ المعرفة كي يصدّوا هجمات ذاك المرض فانهُ اذا تمكّن في بلادنا ربما رشحت عروقهُ فيعسر في مستقبل الايام قلعها

امّا كون داء السلّ معديًا فذلك امرٌ اصبح مقرّرًا لا يختلف فيهِ اثنان . وليس في هذه الرسالة مقام لاثبات البراهين العلمية وذكر المناظرات التي جرت من عهد قريب في هذا الشأن عن نوعية السلّ ووحدانية طبيعتهِ ومناظرهِ ولا نشاحن من يقول مع الدكتور بروبيهْ ان دون السلّ نتيجة الالتهاب . فتلك مباحث نترك التنقيب فيها الى أئمّة علماء هذا الفن . وحسبنا تعريف الاصول العملية التي قرّرتها التجارب لانّ العمل بموجبها يضمن لنا الوقاية من هجمات السلّ كما يتضح ذلك من هبوط معدل الوفيّات بهذا الداء في اوربا منذ عُرفت عوامل العدوى وسعت الجماهير في اتقائها . وهذه فاتنة نظّمت في بلاد الانكليز تؤيّد ذلك القول : بلغت علّة السلّ اشدّها من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٠ فكان معدّل الوفيّات ٢٥٦٥ في المليون . امّا من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٣ اي بعد ما تقرّرت لدى الخاصّ والعامّ عدوى السلّ ووجوه سيرها واخذت الجماهير ترتب معيشتها بحسب تعاليم فنّ الوقاية لقد سقط اذ ذاك معدل الوفيات الى ١٥١٢ في تلك البرهة اي ٤١ في المئة فتأمّل

واملنا في نباهة مواطنينا ان يستفيدوا من تجارب غيرهم لانفسهم فيعمدوا الى استعمال الذرائع اللازمة لكسر شوكة هذا الداء الذي اخذ يفشو في بلادنا كما سنبيّن

قلنا انَّ داء السلّ يعتري الرئة في الغالب وجرثومتهُ العاملة في إحداث المرض وتنقلهِ انّما هي باشلّس كوخ الذي يسبح في نفث المصدورين آلافَ آلافٍ فاذا يبست تلك النفثات تطايرت تلك الباشلّسات في جوّ الغرفة او سارت مع الغبار ثم ولجت رئات سليمة فان صادفت فيها مما نسميهِ قابليّةً للمرض من ضعفٍ في الجسم او تحولٍ حلّتْ هناك وأعطبتها . وان كان الامر كذلك صار لا بُدَّ من إعدام نفث المسلولين وكلّ ما تلوّث بها

الملابس او على الاقل تطهيرها وقد اصبحت هذه الاحتياطات ضربة لازب فتحتم على ذوي التعقل والفطنة

اما دواعي العدوى المختصة ببلادنا عادةً فاولها المخالطة ليس فقط تلك التي تضطرها الحاجة بل الاختلاط المأثور في عاداتنا الشرقية

وغير خافٍ ان الناس في بلادنا يعيشون في البيت الواحد مختلطين فينام اعضاء العائلة في غرفة واحدة ويتنشقون هواء واحدًا واذا أكلوا يغمسون الاصابع في قصعة واحدة وربما أزم الواحد الآخر لقمةً اكل نصفها. فلا غرو من ثمَّ اذا نُقلت العدوى لان الابواب مفتوحة بوجهها . ومن هذا القبيل عادة عيادة المرضى فيجتمع الجيران والمعارف زرافات ويدخلون على المريض يتحدثون ويدخنون فيضرونهُ بازدحامهم ويسيئون الى انفسهم بتعرضهم لاكتساب المرض. وقد يمكننا سرد حوادث جمَّة انتشرت فيها العدوى على هذا السبيل نقتصر منها على هذه الحادثة : رجعت منذ عهد قريب امرأة من اميركا وفيها مرض السل اكنَّتهُ في صدرها من تلك البلاد. فلما وصلت ضيعتها نزلت ضيفةً على أختٍ لها تأوي الى بيت واحد وكان لهذه ابنة عمرها اثنتا عشرة سنة. فبعد مرور بضعة شهور توفيت الاخت المريضة وفي السنة المقبلة ظهر المرض في الاخت السليمة. ثم ماتت من جرائهِ . اما الابنة الصبيَّة فقد سرى اليها المرض ولا تلبث ان تلاقي حتفها عمَّا قليل. وليس السبب هنا في انتقال العدوى سوى المخالطة

وتلك الامثال اصبحت عديدة منذ حصلت المهاجرة الى القارة الجديدة وذلك لا ريب السبب الاقوى في جلب المأة ونشرها. وايُّ طبيب لم يشاهد ان معظم المرضى الراجعين من اميركا مبتلون بالسل الرئوي

ولا غرو بذلك اذا استقصينا كيف تكون مهاجرة السوريين وكيف يعيشون في تلك البلاد الشاسعة فهم يقضون عيشهم في التقتير والتعب ويفنون قواهم بعدم ايفائها حقَّها من التغذية اللازمة والراحة الضرورية فينامون جمةً تحت سقفٍ واحد او ربما قضوا ليلتهم تحت القبة الزرقاء. وحملوا اجسامهم فوق طاقتها من الاوقار والاسفار ذلك فضلًا عمَّا يلحق بصحتهم من تأثير البرد والمناخ وعوامل الهم والاهتمام

والهمُّ يخترمُ الجسيم نحافةً ويشيبُ ناصية الصبيِّ ويهرمُ

فاذا ضعف مزاجهم وانحطَّت اجسامهم وأصابها ما يُعبر عنهُ الاطباء بالفقر الفيسيولوجي

تهيّأت تلك الاجسام للامراض واخصّها السلّ . وربما كان منبع العدوى من البيوت التي يسكنها السوريون او من الملابس التي تُخلَع على ذوي الحاجة منهم . واذا ما تمّ سير العدوى فيهم وتملّك المرض من ابدانهم تكفّلوا من ثمّ بنقله الى بلادهم ونشر جرثيمه بين مواطنيهم ولذا تواتر السلّ في بلادنا من يوم بدأت المهاجرة وعاد المهاجرون الى اوطانهم

ونحن نخشى ان يستشري الشر ويسير الداء في هذه البلاد سيرًا سريعًا وينتشر فيها لما يلاقيه من سهولة الانتقال في الداخل بسبب المخالطة والمعاقة وفي الخارج لعدم تدبير المدينة او القصبة او الضيعة على سنن القوانين الصحيّة العامّة ولتقلّ بالحري لعدم وجود تلك السنن او مراعاتها وهو الامر المعزّز في غير بلادنا فيتبها كثيرًا من تفشّي الداء الذي نحن في صدده

ومن اهمّ الاسباب في اجتذاب السلّ انحراف بعض شبابنا عن محجّة الآداب واقتراف المعاصي واستسلامهم الى دائمي الامیال والشهوات فتقضي اعصابهم وتفقد قواهم وتهزل اعضاؤهم فتنالهم من ثمّ اسوارُ الصحة ويتسلّقها ذلك الداء الخبيث . وقد يجدر بنا ايضاً ذكر عادة التقبيل مثل واصلٍ للعدوى ولو كان الامر نادرًا

امّا ما ليس بنادرٍ شَغَفُ الناس عندنا بالترف والمفاخرة بالزينة والملابس فتراهم يجوزون حدّ الاسراف بتمويه الظواهر ويُذلّون الاعضاء لخواطر الزيّ والمصطلحات فيثبّطون بغوّها ويجملون الخالّ في وظائفها وهم مع ذلك يقصّرون عن ايفاء ابدانهم حقوقها من التغذية فيغذّونها بقوتٍ ناقصٍ لا يفي بنموّ الجسم وقوام العيش فيكون من ذلك انحراف الصحة وضعف البنية وتغلّب الامراض عليها . فيالَيت مواطنينا الذين يحدو بهم حادي التشبّه باهل المغرب يأخذون عنهم العادات الحسنة المفيدة للصحة كتفضيل تغذية الجسم وترويضه على تزيينه باللابس والازياء ويطرحون منها ما يخلّ في الآداب وصحّة البدن معًا (ستأتي البقية)

الاخ (فرا) غريغون وجبل لبنان

في القرن الخامس عشر

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

(تابع لما سبق)

٩

وقد اسعد الدهرُ غريغون بانهُ عاش في عهد باباوات وجّهوا كلّهم عنايتهم نحو الشرق